

سيمياءية الكلام في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح

The Semiotics of Utterance in the Novel "Homeland of Glass" by
Yasmeena Saleh

نادية بوفنغور

جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة 1 (الجزائر)، nadia.boufenghour@doc.umc.edu.dz

النشر: 2025/06/30

القبول: 2025/06/09

الاستلام: 2025/04/09

ملخص

تأتي هذه الدراسة في إطار تحليل الخطاب السردي الجزائري سيميائيا ، إذ تسعى إلى الكشف عن وظيفة الوحدات الكلامية داخل خطاب رواية "وطن من زجاج" للكاتبة الجزائرية "ياسمينه صالح"، انطلاقا من البحث في دلالة توزعها على أدوار تحدّثية ينهض بها متلقّظون تحركهم أهواء متنوّعة ، تساهم في تأطير بنية عامّة للأحداث ، تفصح عنها أقوال تتجسّد ضمن خطّاطة تلفظيّة . و أفعال تحتضنها ترسيمة عاملية ، ما يجعل العلاقة بين الهوى والكلام والعمل علاقة استلزامية تكاملية ، ترسم في منحائها البعيد شبكة من العلامات الفنية المتجانسة. الكلمات المفتاحية : كلام ؛ علامة ؛ وحدات كلامية ؛ أدوار تحدّثية ؛ خطّاطة تلفظيّة.

Abstract:

This study falls within the framework of a semiotic analysis of Algerian narrative discourse. It aims to uncover the function of utterance units within the discourse of the novel *Homeland of Glass* by the Algerian author Yasmeena Saleh. Based on an investigation into the significance of their distribution across various illocutionary roles adopted by speakers whose actions are driven by diverse passions, the study shows how these units contribute to framing an overall structure of events. These events are expressed through statements that materialize within an utterance schema, and actions that are defined through an operational inscription. This, in turn, establishes an interdependent and integrative relationship between passion, utterance, and action, ultimately outlining a network of coherent artistic signs.

Keywords: Utterance; Sign; Utterance Units; illocutionary roles; Utterance Schema.

1. مقدمة:

شكّلت رواية الأُرمة الجزائرية هاجسا إبداعيا ونقديا أكسبها طابع المغايرة والتفرد من ناحية جمالها الفني وهيكلها البنائي. وتعدّ رواية "وطن من زجاج" للكاتبة الجزائرية "ياسمينه صالح" من الخطابات السردية التي اشتغلت على مقياس أسلوبى علامى منحها قدرة تأثيرية واضحة ، وفتح المجال أمام الباحثين للوقوف عند خصائصها الفنية، فجاءت مثلا الدّراسة التي قدّمها الباحثة "جميات منى" حول التّشكيل اللغوي في الرواية مرتبطة بأهمّ المستويات اللغوية التي احتضنها خطابها السردى، وقاربت الباحثة "نور الهدى العيفة" عنصرا الشخصيات سيمياءيا منتهجة الخطوات التي سبّها فيليب هامون (Philippe Hamon) في هذا الحقل، كما حلّل الباحث "يوسف العايب" الإهداء في الرواية كمصاحب نصّي.

وتأتى هذه الورقة البحثية لتسلّط الضوء على دلالية الكلام في الرواية وفقا للمقترح النظري الذي أبدعه النّاقّد المغربي "محمّد الدّاهي". فماهي الوحدات الكلامية التي أثّنت الأدوار التحدّثية للمتلقّظين؟ وكيف أسهمت في تنضيد شبكة العلامات الموحية بتيّمات النصّ وأبعاده الدّاخلية؟ وهل هناك علاقات خفيّة بين أهواء الشخصيات وأفعالها وكلامها؟ وإلى أيّ مدى يمكن رصد الدلالة المضمرّة انطلاقا من البنية العاملية التحدّثية؟

ولتلبية متطلّبات هذه المقاربة استندنا إلى إجراءات المنهج السيمياءى للكشف عن الخطّاطة التحدّثية التي حملت دوالا كلامية ارتبطت مدلولاتها بوظائف الشخصيات وانفعالاتها المختلفة، ورسمت الحدود البعيدة للموضوعات الأساسية التي أرادت الكاتبة إيصالها للقارئ.

2. مفهوم الكلام الروائي

لم تستقر مفاهيم الباحثين للكلام على تعريف موحد يتّسم بالشمولية والخصوصية، لكنّها اتّفقت حول كونه "فعلا فرديا صادرا عن إرادة المتكلّم ومؤهلّاته الدّهنية والمعرفية" (الدّاهي، 2006، ص. 36). فكلّ فرد يتكلّم منطلقا من حالة نفسية معيّنة، أو مقصدية محدّدة، أو معتقد راسخ، مراعيّا المقامات التحدّثية التي تسمح له بمعرفة انطباعات الآخر وإمكانات التفاعل الإيجابي أو السلبي الذي تفرضه القنوات الدّاخلية والخارجية المحكومة بالأطر الثقافية.

وقد نبّه "دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) إلى هذه الفكرة حين اعتبر الكلام "جزءا نفسيا فيزيائيا" (دي سوسير، 1986، ص. 32) موضّحا العلاقة المتينة الرابطة بينه وبين اللغة، حيث لا تأثيرية للكلام دون لغة مفهومة ومستصاغة، ولكنّ ذلك لا ينفي وجود فروق جوهرية بينهما، حيث أوجزها في:

✓ اللغة مشتركة بين الأفراد جميعا ومتموضعة خارج إرادتهم، لكنّ الكلام نسق فردي خاضع لإرادة المتكلّم.

✓ اللغة لدى المجموعة الناطقة بها توجد على شكل مجموعة آثار مرتسمة في كلّ دماغ على شكل معجم تكون جميع نسخها متماثلة موزّعة بين الأفراد، بينما الكلام مظهره فردية وعلنية (دي سوسير، 1986، ص. 32).

وبناء على ذلك، تُتخذ اللغة وسيلة في ألسنة المتكلّمين. يستجدون برموزها وإشاراتها للتعبير عن مواقفهم ومشاعرهم، وبالتالي لا حديث عن الكلام دون التحرك داخل الدائرة الدّاتية للغة.

1.2. بين اللغة السردية والكلام الروائي:

جعلت المحنة الجزائرية الكاتب يعبر عنها بحبر الألم والمعاناة، ويخطبها بأشكال العنف والخوف، ويرسمها بريشة الحزن واليأس، ما فرض على اللغة مسaire الوضع انزياحيا على مستوى اللفظ والتركيب والتداول، حتى تخدم النص تشكيلا ورؤية. حيث تنقل الأفكار داخل المتون السردية عبر وسائط لغوية، فتترجم الرؤى بتعابير موحية وتمرر الانفعالات بكلمات منسجمة الدلالات، مما يثبت فاعلية اللغة في تأدية الوظيفة التأثيرية، وسعها الدؤوب إلى استمالة المتلقي، بتجاوباتها اللفظية مع برامج الذات الساردة أو الشخصيات الفاعلة.

ولا يمكن الاهتداء إلى فهم النص إلا بسبر أغوار لغته، ومعرفة مناخاتها الإيحائية والرمزية، لأنها تشكل وعاء عميقا يختزل علامات اتصالية تتكفل مهمة التبليغ عن حالات ومواقف ثابتة ومتحولة، ما يرسخ جاذبيتها ويكرس إيجابيتها، فهي ليست عنصرا في النص، بل هي "كيان النص كله، تتأكد صحة ذلك عند الاستماع العابر للنص وفي قراءته القراءة العجلى حين يكتشف المتلقي أن بين يديه كلاما ذا طابع خاص متميز عن المؤلف المعتاد من لغته العادية، ويتراءى ذلك عند التواصل الحميم مع النص للوقوف على معناه، إذ يكشف التأمل في ذلك عن تعدد في المعنى والدلالة، وعن عمق في المقولة والرمز" (شلي، 2008، ص. 18).

ولا تتحقق أدبية النص الروائي بعزل تشكيله اللغوي - ألفاظ، جمل وعبارات - عن بنائه الفني - إبداع وتجريب - بل تتأني بتداخلهما وامتزاجهما في قالب ثنائي يسمح باحتضان دلالات مكثفة، ومهيكل بنية متماسكة، وكلما خضع هذا القالب إلى

المغايرة كلما وُضع النص في محراب التفرد والتأثيرية.

وقد تجني اللغة ثمار الخصوصية الأدبية حين تفارق الاستعمال المباشر، وتعقد قرانا توافقيا مع الخرق والانزياح، بارتياحها قطاع الرمزية والإيحائية، الذي يرقمها إلى رتبة الفنية، لذلك يولها الروائي عناية تامة، مصوبا هدفه نحو كيفية تحميلها طاقة دلالية تتناسب وسياق التوظيف العام للشخصيات بمواقفها الأيديولوجية وأبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية.

وتأسيسا على هذه الأهمية تتنوع استخدامات الكتاب للغة، بالنظر إلى الاختلافات التي تميز بينهم من حيث القدرات اللغوية والتخيلية، والمطامح الأدبية والمرجعيات النفسية، التي تفضي إلى منجزات متباينة التراكم، والتي تتحكم في النص وترسم معناه، وفقا لمحاولات إشارية تفصح أحيانا وتلمح أحيانا أخرى، وتشغل على إيقاظ حس الإبداع لدى المتلقي لامتلاك مفتاح حل الشفرات وفك الرموز، تاركة إغراءات تحفيزية بناء على مستوياتها وأنماطها.

إذن لا تكمن تجريبية المغامرة السردية في الحديث عن أفكار الكاتب ورؤاه باعتبارها كائنات مستقلة عن العمل الأدبي، بل إن وجوب قوليتها مبتغى لا مفر منه، فلا معنى لها، ولا صيغة تلونها إذا لم تمرر في إطار خاص تؤسسه اللغة كبؤرة للتعبير ومركز للتبليغ.

وتحدث تبليغية اللغة إذا صيغت في كلام يترجم وضعية المتحدث ويفصح عن مرجعياته وأفكاره وانفعالاته، ضمن مسار تلفظي يهدف إلى تمرير قضايا عن طريق الكلام.

يفتقر إلى معالم الانسجام مع مواطنيه، ومن تمّ أتت الافتتاحية كشفا وإعلانا عن أسباب الأزمة ومحفزاتها.

يرد هذا الكشف بالإصرار على الكلام، والبوح دون صمت أو إضمار، فتطالعنا ثنائية تنبني على ضديّتها معاني كثيرة هي (الصمت/ الكلام).

إذ تعرّف معجمية "الكشف" على النحو الآتي:

"الكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغطّيه، كشفه يكشفه كشفا. وكشف الأمر يكشفه كشفا: أظهره" (ابن منظور، 1993، ص. 73).

وفي مختار الصحاح نجدها في مادة "ك. ش. ف" بمعنى "كشف الشيء من باب ضرب" فانكشف "و" تكشّف "و" كاشفه "بالعداوة باداهها، ويقال: لو "تكاشفتم" ما تدافنتم أي لو انكشف عيب بعضكم لبعض" (الرازي، 2003، ص. 518). وتعرّف بـ "كشف، يكشف، كشفا، وكاشفة الشيء، وعنه أظهره ورفع عنه ما يغطّيه، قال تعالى: "فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها" ويقال: كشفته الكواشف أي فضحته" (بن هادية وآخرون، 1991، ص. 905).

إذن تتضمّن التعاريف المعجمية المعاني الآتية:

- الإظهار: فكّل ما كان مخفيا حين يكشف عنه يظهر ويتجلّى.
- الإبانة: تتبيّن معالم الشيء الغامض حين يكشف عن تفاصيله.

- الرفع: إذا رفع الحجاب عن الشيء انكشف وتبدّى مكنونه.

- الفضح: الأمر يصبح مفضوحا إذا كشفت خباياه.

من هذا المنطلق يفضي البحث في المجموعات الدالة داخل خطاب "وطن من زجاج" إلى استظهار الوحدات الكلامية الموزّعة بين ثنايا النص، لأنّ الدراسة لا تعنى بالكشف عن المؤشرات التلفظية للكلام الرّوائي، بل إعادة بنائه سيميائيا وليس للاستئناس فقط بالمعينات الصرفية والتركيبية وإنّما إعادة بناء أثر الملفوظ أو الكشف عنه بمجهود تأويلي "الدّاهي، 2006، ص. 35).

تحتلّ الذات السّاردة موقع البطولة في الرواية، فالأحداث بؤرة لأقوالها وأفعالها، والأمكنة مختزل لمعاناتها وطموحاتها، لذلك كان مسعاها في الترويج لموضوع يحمل قيمة مطروحا منذ الصفحات الأولى، حيث لا مجال لمواراة هويتها وغاياتها الإيديولوجية والدلالية إلّا بالتعامل مع التلفظ الذي تضطلع به بكونه فعلا سيميائيا.

3. الوحدات الكلامية في رواية وطن من زجاج

يشار بها إلى كلّ "ما يتعلّق بالتلفظ أكان إنجازا أو تقريرا ويستتبع تنفيذ عمل ما، ويصف حالة أو يثبت واقعة معيّنة" (الدّاهي، 2006، ص. 23). وهذا يثبت ارتباط الكلام بهوى الذات وأعمالها، فتشكّل التلفظ بما يلائم الحالة الانفعالية يوحى بالقيمة العملية للكلام سواء كان مضمرا أو مكشوفاً، ويمكن إعادة تشكيل الأفعال الكلامية المَوْظفة في الرواية من خلال الوقوف عند الوحدات الكلامية الآتية:

1.3. وحدة الكشف:

التمظهرات المعجمية للكشف:

تندرج هذه الوحدة ضمن مقولة الإخبار، فخروج الذات عن صمتها ومحاولة تعبيرها أو إفصاحها عن واقع متأزم ولّد اختناقاً وسط وطن

رجل واحد بهذا كله، هو الذي فقد رجله إبان الثورة ثم بعد الاستقلال وجد نفسه على الهامش "صالح، 2006، ص. 11)، وكأنه يتساءل عن سر هذا الوفاء لمثل هذا الوطن الذي لم يهبه سوى العاهة والهامشية، بينما تظهر بوادر الاقتناع في الإنصات الجيد، ومصاحبات الاهتمام التي تثبت وطنية الذات/البطلة وعدم خيانتها، إذ تعلن ساردة: " يحكي فأجدني غير قادر على إيقافه، أنظاھر بالنظر إلى نقطة بعيدة، لأجدني أركز على ما يقوله، وحين يصمت يسقط برد غريب على المكان" (صالح، 2006، ص. 23).

وفي مقطع سردي آخر يكشف "عمّي العربي" عن سبب موت "الرشيد": "ثم قال بعد صمت دام دهرا: الرشيد ضحية أفكار خاطئة، ضحية واقع خاطئ، ضحية وضع خاطئ مع ذلك مات الرشيد دفاعا عن واجبه" (صالح، 2006، ص. 23).

فتبيّ القول بعد الصمت للخروج من حالة نفسية سيئة، يوحى بثقل الموضوع المكشوف عنه، إذ يتعلّق بأسباب كثرة الضحايا في هذا الوطن، أمّا صيغة التكرار الموصولة بهذا القول ترنو إلى تحقيق التأثيرية والإقناعية المتوخاة من طرف الكاشف من أجل كسب ثقة المكشوف له، كأنّ هذا الكشف ينفّث على تبريرات لا تستصغرها الذات المخاطبة، والدليل تساؤلها الإنكاري الوارد في الملفوظ الآتي: "يا لهذا الواجب الذي لا ينتهي، كيف يمكن تصديق واجب أرعن هكذا؟ لماذا يموت الرشيد واجبا ولا يموت أولئك الذين يختبئون خلف شعب ينقرض يوميا دفاعا عنهم، لماذا لا تصيب الرصاصة أولئك الذين يتاجرون بدم الناس في المحافل الدولية؟" (صالح، 2006، ص. 23).

وتشترك هذه المعاني في التّركيز على الموضوع المكشوف عنه، والذي يحدث توتّرا في نفسية الكاشف ويربك سلوكاته، ولا يستطيع المخاطب إدراك طبيعة الموضوع ما لم تفصح الذات عن مكانه.

وتهيكل البنية العاملية للكشف من العوامل الآتية: يصدر الكشف عن المخبوء، بناء على إضمار مضرّ، فالكبت والإخفاء يعملان على دعم القهر الداخلي/النفسي، ما يستدعي هروبا من حالة نفسية قد تتحوّل إلى أمراض يستعصى معالجتها، لذلك يحدث فعل الكشف عن طريق القول والكلام وتجاوز الصّمت بالنطق.

وتتباين نسبة الاستجابة حسب تأثيرية الكاشف، وقابلية الاقتناع بحدود الموضوع المكشوف عنه.

ومن الشواهد التي ضمّت هذه الوحدة الكلامية نذكر:

"يقول لي بصوت يريده مقنعا الوطن حقيقة يجب الإيمان بها يا بني الوطن ليس رئيس الجمهورية وليس الحكومة وليس الغيلان السياسيين، ولا الجلاّدين، ولا السجّانين ولا المنفيين ولا المفقودين، ولا الخونة ولا الإرهابيين، الوطن هو ما نتنفسه وما نستشعره" (صالح، 2006، ص. 11).

يحمل المتلفظ رغبة إقناعية، صاغها في كشفه عن حقيقة الوطن المغدور به، فهو يدعو إلى النظر إلى الوطن على أنّه عشّ نأوي إليه وهواء نتنفسه، ومطر نرتوي به، لا بمعاناة رئيسه وحكومته وسياسييه أو إرهابييه.

وتجسّدت استجابة المكشوف له في الاستغراب ظاهريا والاقتناع باطنيا، حيث يتجلّى الموقف الأول في الملفوظ "أليس غريبا أن ينطق

هؤلاء الذين يقودون القرية إلى التهلكة وأولهم جدك" (صالح، 2006، ص. 36).

فالتصمت الذي مَدَّ للإفصاح يدلّ على أنّ مصدر الكشف نابع عن إحباط مسبق، أسست له اختراقات طالت الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، فالكشف ينزع إلى زرع الإيجابية في نفسية " المكشوف له"، كما يهدف إلى إقناعه بحتمية مخالفته لقوانين جدّه " الحاج عبد الله"، والسّير عكس التيار الذي خطّه بتحدّياته التي انعكست في تفوّقه، إذ يقول: " في الخامسة عشرة من العمر وجدتي أنفوق برغم كل شيء...فكرت أنّ المدينة تكفي لأتفوق في الدّراسة لأجل ألاّ أكون واحدا من هؤلاء القطيع، لئلا أكون مثل جدي أو رئيس البلدية أو الفلاحين أو البائسين الرّاضين عن أنفسهم" (صالح، 2006، ص. 45).

بين التّلفظ والاستجابة يقع الانتظار الذي يكتسي خصوصية استشرافية، تفضي باقتناع مستصاغ من قبل الكاشف أو رفض صادم له، ودلالات التّأثّر وسمات الاقتناع أكّدها الملفوظ الآتي: "وصوته الذي أشعر أنّه غير الكثير في شخصيتي برغم مروره السّريع على ذاكرتي المكتظّة بالخيبات" (صالح، 2006، ص. 58).

وتبرز وحدة الكشف أيضا في المقطع الآتي: "إيه يا خويا، اللي داروها راهم مخبيين رأسهم، أولادهم راهم في فرنسا ولانجلز، إحنا اللي نخلّص وإحنا اللي نموت في بلاصتهم" (صالح، 2006، ص. 51-52)، فصديق البطل يعمد إلى تعرية المستور، بالكشف عن المتورّطين في التّمهيد للأزمة والتأسيس لها حيث يمرّر عتابا ضمّنيا لهؤلاء الرّجال الذين باعوا الوطن وصيّروه كذبة، ولم تحدث استجابة من طرف المخاطب، بسبب تيقّنه أنّ الموضوع المكشوف عنه لن يغيّر بدم تلك الفئة

تحمل شخصية "عبي العربي" ملامح الكفاية المعرفية: "معرفة الفعل ومعرفة القول، وواجب اتخاذ القرار والكفاءة الاستهوائية، رغبة الفعل، الإفصاح والإقناع" (الدهاي، 2006، ص. 87)، ونشرح ذلك في النقاط الآتية:

أ. الكفاءة المعرفية:

1. معرفة الفعل: الشخصية المحرّكة لعجلة الكشف شاركت في ثورة التحرير، وتدرك مدى وجوب الدفاع عن الوطن ومصالحه.

2. معرفة القول: الصّمت الذي سبق فعل القول المرتبط بالكشف عن الصورة الإيجابية التي يجب أن تساق عن الوطن، يبيّن إلمام الكشف بمحقّرات القول المستندة إلى معارف ساهمت مشاركاته الثورية في تكوينها.

ب. الكفاءة الاستهوائية:

رغبة "عبي العربي" في التحرّر من الآلام التي يشعر بها، والأحزان التي تدنّ قلبه بها ولدت إفضاء خارجيا برهن به عن مدى إخلاصه وحبّه للوطن، على أمل أن يزرع هذا الشعور في نفس الذات المخاطبة.

ونلمس من خلال الملفوظات السّابقة: الثقة التي وضعها الكاشف في المكشوف له طموحا في صناعة جيل يناضل دون مقابل، ويصبر على نكبات وطنه أمام النوازل.

وضمن الحوار الذي جرى بين الذات الساردة "البطل" و "المعلم"، كشف هذا الأخير عن أمل يطمح إليه في جيل الغد، عساه ينتهج طريق التّغيير والبناء بعيدا عن سياسة الهدم والثّبات، والشّاهد: " لعلّه صمت طويلا قبل أن يقول لأنك طيب ولأنك تلميذ متفوق، ولآتي أريد أن تكون مختلفا عن كلّ

كلّ عائلتها سألتها مستغربا: يقال؟؟ فردّ بسرعة: أجل يقال: لقد كتبت إحدى الصحف قبل فترة موضوعا عن الصورة ذكرت فيه أنّ المرأة لا علاقة لها بمنطقة بن طلحة، وأنها ممثلة فقط". (صالح، 2006، ص. 75). فاستغرب "المكشوف له" واستنكاره للموقف ثبتت حقيقة الصدمة، ويؤكد شذرية الجذور المولدة للأزمة الجزائرية.

وتكشف الذات/البطلة انطلاقا من هوى الحب الذي سكنها منذ الصغر، عن سبب قدمها إلى العاصمة، وقصدها بيت "النذير" وأمه، وممارستها الكتابة وتحديثها لمتاعها في قولها: "شعرت أنّ يدك كانت شرعيتي الصغيرة، وأنّي في تلك اللحظة عرفت أنّك أنت التي لأجلها جئت إلى بيتكم و تلك اليد التي لأجلها كتبت، وحلمت في السر، وانتظرت لأجلها نهارا هربته بعيدا عن عيون القتلة والمجرمين واللصوص المحترفين، وجنرات الإهانة اليومية" (صالح، 2006، ص. 112).

فهذه المشاعر المخبوءة لعبت دور الحافز بالنسبة للذات كي تدافع عن شرعيتها في البقاء، وتحقق برنامجها المتمثل في إحداث وصلة مع ابنة المعلم، إلّا أنّ المكشوف له "المتلقي" في هذا المضمار ظلّ يتدبّر بالصمت والتجاهل، ما انعكس سلبا على الشخصية البطلة، ودفعها إلى الهروب طلبا للراحة النفسية وأملا في النسيان، ويتبدّى المخاطب على المستوى التعيني مشخصا، وهي الفتاة التي أحبها "ابنة المعلم" لكن على المستوى التضميني المقصود هو "الوطن" في إشارة إلى أنّ انكسار الوطن وغرقه في لجية الأسى لا يمكن إنقاذه إلّا بالحب.

ويثبت الكلام الجاري على لسان الذّات الساردة الاستجابة الضمنية للمخاطب "لم يعد ممكنا ألاّ

أو التشهير بسوء أعمالها، بل يقتضي الأمر مساندة الوطن في نكبته ومؤازرته في محنته "فلأوطان قدرة عجيبة على إقناعنا أنّها تنتظر من يكتب لأجلها شيئا ينصفها، ويقول شيئا يعبر عن رأيها ولا يخونها في عبارة مهما كانت صغيرة" (صالح، 2006، ص. 57).

وفي موقف آخر يكشف "النذير" ابن المعلم للذّات البطلة عن قيمة أساسية تتمثل في أنّ "قيمة الإنسان في دفاعه عن قيمة وطنه" (صالح، 2006، ص. 65)، لكن ما يدلّ على عدم اقتناعها بهذه الفكرة، هو تساؤلها عن هذا الوطن الذي تعيش فيه متحدّة: "ما الوطن؟ ما الإنسان؟ وما القيمة؟ من يقدر على تحديد هذه المفاهيم؟ هل يكمن الإنسان في المبدأ، وهل ثمة مبدأ لم يعد متورّطا في مصلحة؟" (صالح، 2006، ص. 65).

ويأتي الكشف الرّمزي في صورة إشارية تومئ بإشكالية المكشوف عنه، وتدللّ على كاريته من خلال لغة الجسد الواضحة في قول السارد: "لكن صمته الشديد كان حزاما واقيا من الآخرين، كان متمسكا بصمته، لا شيء سوى عينيه وما فيهما من كلام بعضه موجه وبعضه مبكي، والباقي مليء بالإدانة" (صالح، 2006، ص. 72)، هي رسالة الطفل الذي نجا من المجزرة، تكشف عن قسوة الفاعل ولا رحمته، كما تفصح عن عبثية الحياة في وطن لا يؤدّي واجبه اتجاه مواطنيه، ويتخلّى عنهم في آخر اللحظات.

وفي سياق الكشف عن مشاركة المتنقّدين والأطراف الخارجية في اللعبة الخطيرة التي قادت الوطن إلى نفق مظلم، نورد المقطع الآتي:

"نظرت إليه مستغربا... فقال كأنه يكشف لي عن أمر سري للغاية، هذه الصورة يقال إنّها ملتقطة من مجزرة "بن طلحة" صورة امرأة فقدت

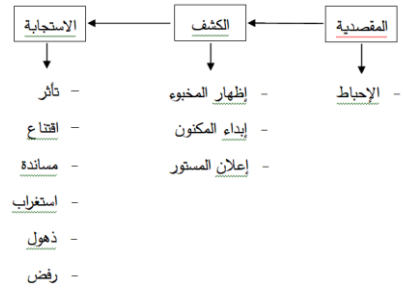
يبدو المكشوف له متأثراً حيناً، ومستغرباً أحياناً، ورافضاً أحياناً أخرى، فمثلاً في قوله "لكنّ الكتابة اختلفت اليوم عما كانت عليه لم تعد تعني وطناً يعيشه، بل تعني وطناً يغتالنا فندفنه في الكلام" (صالح، 2006، ص. 26) حيث يحمّل عبارته معاني كثيفة تنوّه بها طبيعة الأفعال الكلامية الموظّفة، وتحدّد ازدواجية الموقف الذي يتبنّاه وإيحائيه باضطرابه وعدم استقراره على نحو "نعيش، نغثال، ندفن"، فالعيش يراد به الحياة والتمسك بها، أما الاغتيال فهو صدّ لهذه الرغبة وقضاء عليها، والدفن نهاية لكلّ الأحلام، لذلك جاءت ردّة الفعل مبنية على الاستغراب والدّهشة من الكشف الذي أفصح عنه "عني العربي" وهو المجاهد الذي بترت ساقه، ولم يلق إلاّ التهميش والاختطاف جزاء ومكافأة، ورغم ذلك يصّر على حبّه للوطن، ويحرص على توريث هذا الشعور للأجيال اللاحقة.

وتأتي كشوفات "الذات البطلة" المكفّفة بمهمّة السرد في صيغة إجابات عن أسئلة متكرّرة ضمن صفحات المتن على نحو: من أنا؟ أو من أنا حقاً؟ ووجهة حديثها في أغلب المقامات محدّدة في ابنة المعلم، ومجسّدة وفق مسار تلفظي يحركه هوى الحب، وهوى المقت، تمثّل الهوى الأول صورة الوطن المؤشّر إليها بالمرأة الجنيّة التي احتلت قلبه، وسيطرت على تفكيره، أمّا الهوى الثاني فينتجه الواقع بزيفه، والمسؤولون بتسلّطهم "الجد، رئيس البلدية، مدير الجريدة....." والإرهابيون باستباحتهم دم الأبرياء.

فمقصدية الذات هنا تتعدّى الكشف عن أبعادها الاستهوائية، لتنفّث على محاولة تطويع الذات المعنية بالكشف على فهم مشاعرها، وتجاوبها الإحساسي معها، وقد تأخّرت استجابة "

أكون استثنائياً من جديد، وألاً أكتب افتتاحيتي هذا المساء لأجل أن ينتصر الحب على سوداوية الكون والمدينة والأشياء، لأجل أن أنتصر بالحب على القتل، على الذين يترتصون بي أيضاً دون أن يعرفوا أنّي أبقى لأجلك ولأجل أن أعيش في وطن وجدته فيك" (صالح، 2006، ص. 175)، فالحب حسب ما ورد في هذا الكلام طريق للثور على قارب النجاة، وسبيل للخروج من عنق الزجاج.

وقد رصدنا تفاوتاً في نسب تحقّق إقناعية الموضوعات المكشوف عنها، واختزلنا تعدّد وجوه التأثير بها على صعيدي الإيجاب والسلب في الخطّاطة الآتية:



إنّ الشعور بالإحباط وتبعاته كان مصدراً أساسياً للكشف عن عدّة مكنونات، ساهمت الكفاءة التي تملكها الذات الكاشفة في إنجاح تأثيريتها أحياناً، وتوليد الإنجاز التلفظي المنتظر من طرف المكشوف له، فشخصية "عني العربي" حين تكشف عن أهميّة التعامل مع الوطن على أنّه بريء ممّا يحدث وسط جغرافيته بغضّ النّظر عن المساهمين في أزمته، تسعى إلى إقناع جيل الشباب الذي تمثّله شخصية البطل، بالنأي عن كراهية الوطن وإتهامه بالقسوة مع أبنائه، سواء كانت الاستجابة مادية "قولاً وفعلاً"، أو معنوية "إحساساً واعتقاداً".

وتأسيساً على ما سبق نستشف مدى أهمية هذه الوحدة الكلامية في صوغ وخدمة المسار الأدبي للحكاية، حيث لم تصرّ الشخصيات على الحفظ والإخفاء والكتمان، والتفوق في وعاء استهوائي انفعالي فقط، بل تبنت مسارا تلفظيا اعتمد على مقصدية ولّدتها إحباطات وأزمات نفسية، حفّزتها على الكشف عن تيمات هامة ترمي من خلفها إلى إقناع الذوات المتلقية، والتأثير فيها.

2.1. الأدوار التحديثية للشخصيات الفاعلة:

تتحكم في هذه الوحدة الكلامية أدوار تحذّية يؤدّيها الفاعل تماشياً مع "منزلة الاجتماعية (العمر، الجنس، الموقع العائلي و الاجتماعي والسياسي)، ومع ما يضطلع به من أدوار موضوعاتية" (الداهي، 2006، ص. 193)، ويعدّ الحوار القالب النموذجي الذي تتمظهر فيه هذه الأدوار، حيث تتحدّد بـ "مجموع المواقف والسلوكات والتجليات اللغوية" (الداهي، 2006، ص. 193)، ولا يمكن للذات أن تنهض بدورها على أكمل وجه إلا إذا تمّت فيه مراعاة الوضعية الاجتماعية التي تنطلق منها، فتعطى حيال ذلك الأهمية للتعبير والسلوكات اللغوية الخاضعة للتجربة ومقتضى الحال.

من خلال معاينة الحوار الذي دار بين "عبي العربي" و"البطل" في المشهد الآتي: "اسمعي يا بني، لا يمكننا أن نكره الوطن بسبب كرهنا للرجال الذين يحكمونه، الوطن أكبر من هذا بكثير، ولا أرد أتمنى لو أنبش في ذاكرته بحثاً عن بعض التفاصيل التي تبدولي أحياناً جاهزة وفي أحيان أخرى مفبركة. - لقد اغتالوا الرشيد!

الذات المخاطبة" ما جعل "الانتظار" تصبغه الخيبة والخوف، والشواهد الدالة على ذلك متعدّدة في المتن، نمثل بأعمقها دلالة: "برغم كل المسافة التي وعيتها ببني وبينك قبلاً وبعداً، لم يكن في نظرك ما يمكنه أن يوحد بيننا سوى المآسي، والبكاء على موتى نعرف بعضهم ولا نعرف أكثرهم...." (صالح، 2006، ص. 165).

وتفصح نهاية الرواية عن نجاح ضمني لبرنامج الذات البطلة، إذ تمكّنت من تحقيق وصلة مع ابنة المعلم "ذ م" بعد الكشف عن مخبوءات احتفظت بها منذ كانت في القرية، ومنذ وضعت يدها في يدها واحتمت بها خوفاً، ومنذ تركت عقدها ذكرى بعد الفراق.

ويأتي التلقّظ داخل الخطاب معلنا عن استفادة الذات من ممارستها العملية الكشف ضمن مسارها العملي، حيث يقول السارد "... ثم حين كنت سادير ظهري شعرت بتلك اليد التي تمنيتها وحلمت بها كثيراً، نظرت إليها .. ثم رفعت عيني إلى تلك العينين المغرورقتين بالدموع وبالجزن، وقبل أن أقول شيئاً وجدتي أضمتها بقوة وأسمح لها أن تجهش بالبكاء في حضني" (صالح، 2006، ص. 173).

فغنى هذا الملفوظ بأفعال الكلام يدلّ على إنجازات تنم عن الغائية الموجبة للبرنامج، فمن إدارة الظاهر التي تعني العودة خائبا، إلى مسك الذراع الذي يبعث على الأمل، ومن النظر في العيون الذي يوميّ بالحاجة إلى مساندة الآخر وحنانه إلى الاحتضان والضم بالقوة الذي يوحي بامتزاج روحي وائتلاف شعوري يعلن عن انتصار الحب على ظلامية الأوضاع.

الرشيد" الذي قتل أثناء أداء الواجب الوطني، وهو لا يزال يحلم بأسرة وبيت، و "كيف يمكن للواجب أن يكون بلا قلب" (صالح، 2006، ص. 24)، ليعلن عدم اقتناعه بالموضوع الذي كشف عنه "عبي العربي" أثناء تحدّثه عن موت "الرشيد" دفاعاً عن واجبه.

وضمن الحوار الذي كان طرفاه: البطل والمعلم، ساهم البعد الثقافي في تكريس الاقتناع بالموضوع المكشوف عنه. حيث يمكن قراءة الدّورين على النحو الآتي:

■ دور تحدّثي 1: المقنع (المعلم)

■ دور تحدّثي 2: المقنع (البطل/ الذات السّاردة) يستعين الأول بالتّصحّح كوسيلة للتأثير في المتحدّث الثاني، خاصّة بعد أن لاحظ ما يتعلّى به من صفات التميّز والتفوّق، فحبّذ تطويعه على الفعل لا إجباره عن طريق القول والفعل، حيث تجلّى القول في حسن اختيار الألفاظ وانسجامها مع ما يتوافق ونفسية المتلقي ووضعه، مثل وصفه بـ "الطيب" و "المتفوّق" وحثّه على "الاختلاف" والمغايرة، وتبدّى الفعل في كرم المعلم وحنانه، بالإضافة إلى اهتمامه بالبطل وحرصه على تغيير اتجاه حياته التي فرضها عليه جدّه.

ونستشفّ من هذا المقطع التحدّثي القدرات اللغوية التي يتّسم بها المعلم، والرّعة الأخلاقية التي ينطلق منها في تطويع البطل، والبعد الصّوري الذي شخّص به الوضع الذي تتخبط فيه القرية (فقر + اضطهاد + جهل + لاوعي + استعباد) ما حفّز على اقتناع البطل وتأثره بكلام المعلم وسلوكاته، حيث كانت الإيجابية تطبع موقفه نتيجة استجابته لتوجيهات المعلم وطلباته، ويبرز ذلك في تغيّر نظرته

قلّمها له فنظر إلى بحزن مدهش كأنّه تذكّر شيئاً مؤلماً، عاد إلى سيجارته يدخّنها بنهم، ثم قال بعد صمت دام دهرًا:

الرشيد ضحية أفكار خاطئة، ضحية واقع خاطئ، ضحية وضع خاطئ! مع ذلك مات الرشيد دفاعاً عن واجبه! (صالح، 2006، ص. 23).

نجد تبادلاً في أداء الوظيفة التعبيرية بين المتكلّمين، حيث يتّضح أنّ لكلّ منهما موقفه الخاص وانفعاله المنطلق منه، لكنّه ينبني في عمومته على موضوع الإقناع عن طريق الكشف والإفصاح، والصيغ الآتية تشير إلى الأدوار السّابقة:

1. الموضوع: الإقناع.
2. دور تحدّثي 1: المقنع : يؤدّيه عبي العربي في محاولة لإقناع البطل بضرورة حبّ الوطن وتبرئته.
3. دور تحدّثي 2: المقنع: اقتناع المخاطب ضمناً، من خلال حسن الإصغاء، وتميّي المزيد من الشرح.
4. دور تحدّثي 3: غير المقنع: عدم اقتناع الذات تعيينياً، من خلال استنكارها لما حدث لـ "الرشيد".

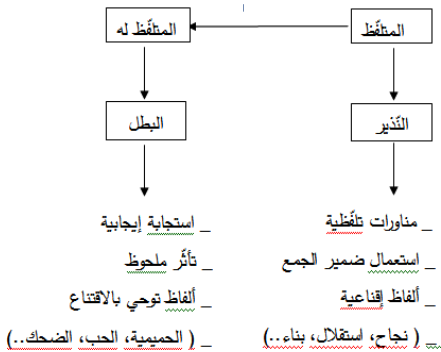
فيتبدّى موقف "عبي العربي" مغرقاً في المثالية التي صنعها الفكر الثوري والعقلية الجهادية بعيداً عن الواقع المرير الذي طفت ضبابيته على السطح، بينما يظهر موقف الذات البطلة مبنياً على انفعال تتنازعه أحاسيس الحب والكراهية، لذلك جاء دورها التحدّثي متراوفاً بين الاقتناع واللاقتناع، مستعينة بأفعال كلامية منوّهة باستغرابها تارة، واقتناعها تارة أخرى نحو قولها: لقد اغتاوا الرشيد!

فكيف يقتنع بتبريرات هذا المجاهد المخلص المضجّي المهتمّش بعد معاشته وضع صديقه "

دونما تفكير وافقت (...) كنت بحاجة إلى الكتابة" (صالح، 2006، ص.6).

فموافقة المتلفظ له على موضوع الكتابة في جريدة مستقلة تنم عن نجاح المتلفظ في إغراءاته التلفظية التابعة من قدراته اللغوية واعتقاداته الإيديولوجية" المهم أن يكون مرورنا على المكان إيجابيا لا يمكننا التباهي بالفشل حتى لو ارتكبناه عن لا قصد" (صالح، 2006، ص.67).

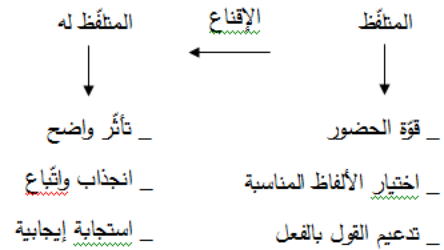
وهذا النجاح الإقناعي متوقع لأن المتحدثين سخرًا قلمهما لقول الحقيقة، واستعمال ضمير الجمع في توجيه الكلام يدل على وحدة الهدف، وبنوه بفاعلية الدورين المحددين لصورة المثقف الإيجابي، الذي يطمح إلى التغيير، وابتغي تعرية الواقع.



وأثناء سعي الذات الفاعلة إلى تنفيذ برنامجها المتمثل في الاتصال ببيئة المعلم تؤدي عدة أدوار موضوعاتية تفرض أنماطا كلامية متنوعة.

1. دور الصحفي الحر: الذي ينقل الحقيقة بمرارتها، ويرسم خلفياتها على الرغم من غموضها بأداء كلامي يتلاءم مع ما تبنته من أفكار، واقتنعت

لجده ولأهل القرية، ورفضه لتسلط رئيس البلدية وأحكامه الظالمة.



وتحقق الاستجابة كان نتيجة مراعاة المتلفظ لجهة إمكان الفعل، فعندما رأى مؤهلات البطل (على الصعيد الفكري والتفسي) أدرك ضرورة إنقاذه من الغرق في مستنقع اللاوجود الذي أسسه المتسلطون في القرية وأتته أهلها الخاضعون، وهكذا ساهمت كفاءة المعلم التلفظية في إيصاله إلى غايته الإقناعية، والدليل على ذلك استعانتة بالتكرار والتأكيد (لأنك.. ولأنك.. ولأني..)، والتفكير العميق قبل القول المؤثر إليه بالصمت الطويل الذي سبق عملية القول.

إذا تبادل الأدوار التحذيرية مثقفون همهم واحد، وسلاحهم واحد، وهدفهم واحد، تصبح وظيفة الإقناع والاعتناع ذات طابع استثنائي، لأن الموضوع مرتبط بقيمة مشتركة، ففي الحوار الذي جرى بين "البطل" و "التندير" حول تأسيس جريدة مستقلة - ترصد حيثيات الوضع في الجزائر بكل صدق - نكون أمام دورين محدثين، الأول إقناعي، يتبناه "التندير" لإرسال مقصده لـ "الذات الساردة" والثاني إقناعي يجسده البطل في كلامه وتصرفاته بقوله: "وجدته يقترح علي العمل معه، في البداية اعتقدت أنه يسخر مني، لكنه كان جادا

معه أفراح نجاحاته، لذلك أتت تلفظاتها متزلة من حقل "الأخوة" والمحبة والحرص، بناء على ما عاشه معا من تجارب (في القرية، في مقر الجريدة، في ميدان العمل).

فمثلا يوضح الملفوظ الآتي: "ال فشل والنجاح والمرض والموت.. كلها مصطلحات لم تعد تقول شيئا حقيقيا يا صاحبي، حين نعتقد أننا نجحنا نكتشف أننا خسرنا أشياء أهم مما كسبناه.. معك حق" (صالح، 2006، ص. 67) مدى اندماجهما في الواقع بما يفرزه من أحزان ومأس، ما يفضي إلى سيادة عبارات الحزن والعتاب والسخط التي تنم عن حسرة مخبوءة عززتها الآلام الدفينة، والتكبات المتراكمة.

3. دور العاشق الصامت: تلعب المرأة/ الوطن دور المحفز الاستثنائي في توليد حوارات داخلية، تفرض نمطا كلاميا يرتبط بأحاسيس الذات البطلة ومشاعرها، هذه الأخيرة التي فتحت عينها على معاني الفقد والحرمان (وفاة الأم، هروب الأب، رحيل المعلم، وفاة العمّة، وفاة الجد)، وظلّت تحتفظ بذكرى جميلة صنعها عفوية "ابنة المعلم" وبراءتها.

فباستجلاء معاني الملفوظ الآتي: "كلّ الجرائم التي مرّت في حياتي كان الحب ثالثها، مع ذلك لم أفقد حقوقي الصغيرة في أن أحب وأموت لأجل الحب، لأجل امرأة تشبهك، وتشبه مالك عندي من كلام ومن أمنيات" (صالح، 2006، ص. 116)؛ تبدو أسلوبية الكلام مستندة على وضعية معيشة، استطاعت الذات أن تصوّر من خلالها إسهامات الحب في تغيير ملامحها، متوجّهة إلى المتلفظ له بكشوفات وإفصاحات تعكس فحوى شعورها على أمل الاستجابة السريعة، ومن تمّ كان كلام الذات البطلة وهي تؤدّي هذا الدور متمحورا في:

به من اعتقادات، حيث تطبعه بزعتها الثقافية ليؤسّم بالفصاحة والمعقولية، والتحرّر من القيود، والجرأة الإبداعية في طرح القضايا وإبداء الرأي فيها، ونوضّح بقولها: "رأيت أطفالا صغارا مذبحين، ونساء كانت لحظة الرعب الأخيرة قابضة على ملامحهن التي لم يبق منها سوى الجزع الأبدي.. كنت وسط مجزرة لأكتب عن تفاصيلها لأحكي عنها في الصفحة الأولى من طبعة الغد" (صالح، 2006، ص. 73)، إنّه كلام الصحفي الذي يترك فضاء لأحاسيسه ومشاعره لتعبّر عن سعة الأزمة ووزنها.

2. دور الصديق الوفي:

حين تدخل الذات/ الفاعلة في حوارات مع شخصيات تجمعها بها صلة الصداقة، يُزيّن كلامها بصبغة الإخاء والتضحية والإخلاص والحزن على الفراق، فيكون ملائما للموقف، ومسائرا للحالة التي يصوّرها وملازما للوضع الذي تنطلق منه، فتتحدّث مع "عبي لعربي" متدثّرة بسمات الاحترام والتقدير، متلفظة بكلام الشفقة والمساندة، فتقول: "وحدي كنت أصغي إليه أحيانا وكان يجد في ذلك شهامة مّي، أنا الذي لا تهمّه التواريخ المعطّلة، ولا الذكريات التي تجرّ العربية نحو ماض لم يعيشه أحد حقّا، ماض ممزوج بالمبالغة والتخويف أحيانا" (صالح، 2006، ص. 11).

فالإصغاء دليل الاهتمام، ومؤشّر المساندة الشخصية، أمّا الحديث عن التاريخ والذكريات والماضي فيأتي موافقا لوضع المتحدث إليها كونها جاهدت من أجل الاستقلال، وثارت ضدّ المستعمر، وعاشت ماض مؤلما، خلف عاهة منعتها من ممارسة الحياة والاستمتاع بها.

وتختار الذات البطلة نمطا كلاميا أساسه التحديّ والمواجهة والصبر، عندما يكون النذير هو المخاطب، فهي تقف معه في إنجازاته، وتتقاسم

(159)، حيث يعتبر البطل هذا الطلب الموصول بالصّح نوعاً من التحايل الجارح الذي يورط النفس في الأحلام صعبة المنال.

ولم تتحقّق الاستجابة، ولم تصل الذات إلى غايتها إلّا بعد اقتناع "ابنة المعلم" بضرورة الهروب من أحزائها وأفراحها إلى حضن يواسي فجيعتها، ويضمّد جراحاتها، ويؤنس وحدتها.

نلاحظ تأسيساً على ما سبق أنّ المشاهد الحوارية التي ضمّنت الأدوار التحدّية بين المتلفّظين انبثت على قاعدة الإقناع التي أسّستها وحدة الكشف، ويمكننا تلخيص هذه الأدوار في الجدول الآتي:

المقنع	موضوع الإقناع	المقنع
عفي العربي	• تربية الوطن وحبّه. • أداء الواجب تجاه الوطن والتّضحية من أجله.	• الذات/البطلة "استجابة مؤقتة مع استغراب وذهول"
المعلم	• المغامرة والتّجديد. • الخروج عن طائفة المستبذّين وعدم الخضوع لأوامرها والامتناع لقوانينها.	• الذات/البطلة "اقتناع تام بالموضوع على المستوى القريب والبعيد"
النذر	• تأسيس جريدة مستقلة. • الإفصاح عن الحقيقة كما هي دون تركّذ أو خوف.	• الذات البطلة "موافقة مصحوبة بمساندة معنوية"
الذات البطلة "لاكامورا"	• اتّصال وارتباط. • يقضي بعيشة مستقرة أساسها الحب والإسجام.	• ابنة المعلم "موافقة ضمنية معزّز عنها بواسطة الجسد."

2.3 وحدة المجادلة:

التمظهرات المعجمية والدلالية للمجادلة:

تندرج معجمية المجادلة ضمن مقولة المخاصمة والعتاب والمحااجة، وتعني بـ "توسّل سبل

أ- كلام الحب: "أن أحبّك لهو انتحار جميل أي جيداً أنّي أمارسه بكامل عقلي" (صالح، 2006، ص. 116).

ب- كلام العتاب: "خدعتني سيّدتي.. خدعتني يدك الجميلة حين وضعتها فجأة ودون سابق إنذار على ذراعي" (صالح، 2006، ص. 139).

ج- كلام الشوق: "كنت أعرف أنّي سألتقيك انتابني يومها شعور غريب بأنّي وقعت في الفخ" (صالح، 2006، ص. 94).

د- كلام الخيبة: "جئتك معتقدا أنّك انتظرتني خالية القلب... وأنك لن تقدرني على أن تقولي لي "أحببت من قبل" (صالح، 2006، ص. 123).

هـ - كلام اليأس: "هل تلاحظين شكل انكساري قبالتك الآن، وأنا على بعد خطوة من الهاوية" (صالح، 2006، ص. 159).

حيث يدلّ ضمير المخاطبة "ك" على قصر المسافة الفاصلة بين المتلفّظ والمتلفّظ له، كما توحى السمة التوجيهية للأفعال "أحبك، ترميني، خدعتني، ألتقيك، جئتك، تلاحظين" بتعبيرية المتكلم عن وجدانه ومشاعره في "حالاته النفسية المختلفة من سرور ورضا وغضب وحزن" (بوجادي، 2009، ص. 215).

وتلغى في هذا السياق الوظيفة التداولية للخطاب، لأنّ عملية التعبير والكشف كانت داخلية، فالشخصية المخاطبة هنا لا تدرك ما تكتنه الشخصية البطلة، ولا علم لها بمشاعرها وأحاسيسها، لذلك جاءت تلفّظاتها مقتصرة على موضوعات عامّة، تتخذ من النمط الاجتماعي العامّي قالباً كلامياً نافعا ومغريا، فتقول مثلاً "انتبه لنفسك أرجوك اتّمها في روحك" (صالح، 2006، ص.

استدلالية لحمل الآخر على تغيير معتقداته، وتصديق ما يعرض عليه" (الدّاهي، 2006، ص. 28)، وتعرّف في مختار الصحاح بـ "جاده خاصمه مجادلة وجدالا والاسم الجدل وهو شدّة الخصومة" (الزّازي، ص. 103).

كما تأتي بمعنى "جادل الرجل: ناقشه وخاصمه، قال تعالى: وجادلهم بالتي هي أحسن" (بن هادية وآخرون، 1991، ص. 243).

وهذه الأسئلة التي طرحها الخائن والدّالة على رفضه للتنوع التي وصفه بها "عمي العربي المجاهد" "كلب خائن قوّد" تنمّ عن عدم استجابته للموضوع المتجادل حوله وهو عمله مع المستعمر ضدّ أبناء وطنه، وبيعه لأرض أجداده لمستعمر يأبى إعطاء الحقّ لأهله، فغائية القضاء على الخونة التي اجتهد عميّ العربي في تحقيقها، وجادلهم من أجل تنفيذها تطلّبت برنامجا يبني على التحدّي والمواجهة، والتضحية، ما ولّد صراعا بين المجاهد والخائن فكلّ منهما يريد إرساء رأيه: الأول دفاعا عن حق، والثاني تثبيتا لباطل، وكلاهما يتبنّى نمطا كلاميا يحاول من وراء أسلحته تفنيد رأي الآخر وإضعافه، فمثلا أثناء أدائهما لأدوارهما التحدّية في المقطع الآتي: "حين وقف قبالتة ووجه مسدّسه نحوه سأله هذا الأخير قائلا: لماذا؟... تعود أن يقول لأنك عميل... خائن... لأنك بعث إخوانك لفرنسا!

لأنّك بعث نفسك لفرنسا ولا مكان لك بيننا..!

ردّ عليه العميل... أنا أمارس دورا كما تمارسه أنت... فرنسا لن تخرج من الجزائر لا اليوم ولا غدا" (صالح، 2006، ص. 17).

يهدف كل مجادل إلى ممارسة تلفظية تتناسب ووضعيته وكفاءته المتأّتية من معرفة القول ورغبة الفعل، فالمجاهد يتلقّظ بما يثير محفّزات النّدم

وتفضي هذه التعاريف بمعاني واضحة تتجلّى في: المناقشة، والمخاصمة والحوار بالحجّة والدليل ويصدر الجدل عند مجازاة هوى معيّن من أجل الحصول على شيء ما تظنّ الذات أنّه يتوجب إقناع المخاطب به، ليتبدّى ارتباط هذه الوحدة بالهوى من ناحية والعمل أو الفعل من ناحية أخرى، وتتكوّن البنية العاملية للمجادلة من: المجادل الأول، المتجادل عليه "الموضوع"، المخاطب "المجادل الثاني".

وقد يكون الجدل نابعا عن ظلم أو عدم اتفاق، أو إحساس بالقهر، أو محاولة إثبات رأي مختلف حوله، من ثم تصوّر متوالية مقطع المجادلة على النحو الآتي:

عدم الاتفاق ← المجادلة ← الانتظار ← الموافقة أو الرّفص

وتتجلّى دلالة هذه الوحدة داخل المتن، ضمن المقاطع الآتية:

"أنت هو العربي أليس كذلك؟

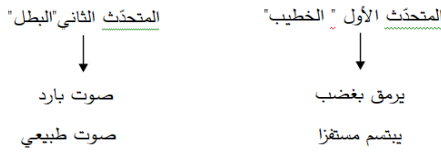
أنت هو إذن العربي الذي وكلّته الجبهة ليقتل جزائريا مثله!

غضب العربي وردّ بانفعال:

أنت لست جزائريا يا كلب، أنت خائن وقوّد!

قبالة جريمة لا يمكننا الوقوف بحيادية، لا فرق بين اغتيال شخص واغتيال وطن..."!(صالح، 2006، ص.156).

الملاحظ في هذا المشهد أنه لم يكن خالصا، بل طغت عليه تدخلات السارد، التي رصدت الحالة الانفعالية للمتحدثين أثناء عملية التلفظ، حيث يبدو المتحدث الأول "الخطيب" غاضبا، متوترا، يتسلح بعسكريته، وكأنه يخوض معركة، في حين تبرز سمات الرزانة والحكمة على نبرة المتحدث الثاني، وكأنه يكتب مقالا صحفيا



وما يدل على أننا أمام موضوع جدالي هو قول السارد "كنت شاحبة وأنت تنظرين نحوي بشيء خيل إلي أنه يشبه التوسل الصامت بالأجادل رجلا يصّر على أنه على حق؟"(صالح، 2006، ص.156). فإصرار المتلفظ الأول على أنّ الوطن ليس بحاجة إلى إشاعات وإهانات يكتبها الصحفيون وتروجها جرائدهم، أوقعه في مجادلة صريحة مع الشخصية البطلة، التي رأت انطلاقا من إثارة استهوائية أنّها مجبرة على الدفاع عن نفسها ومهنتها، وألصقت صفة الإهانة بالوطن، لأنه تخلى عن شعب أحبه، وراحت تناقش بكل ثقة، وترفض كلّ الأفكار التي طرحها، خاصة المتعلقة برأيه في الصحفيين الذين اغتيلوا، إذ عدّه جزاء عادلا في حقهم/ وكأنّ الخطيب يدين الشعب والبطل يدين الوطن.

إنّ المجادلة تنجم عن هوى إثبات الذات، لذلك يسعى كلّ متحدث إلى إقامة الحجة من أجل تفنيد

والحسرة في نفسية الخائن "بيع الإخوان، بيع النفس، بيع الوطن" والخائن يتسّر بدثار الكلام الجارح/ المخيف/ المبهين الذي يوّلّد غضبا في نفسية المجاهد (لا حرية، لا سيادة، لا كرامة).

وتظهر معالم هذه الوحدة الكلامية داخل مسارات تلقّظية ارتبطت بشخصيات تدرك تماما ما تقول "معرفة القول"، وعلى استعداد لخوض صراعات مع الآخر لإحداث التغيير "معرفة الفعل"، ومن بينها الشخصية البطلة التي دخلت في مجادلة مع "خطيب ابنة المعلم"، نشرح خطأطها بناء على ما ورد في المشهد الحوارية الآتي:

"هل تؤمن بحرية الصحافة وسط هذا الخراب؟

قلت له بصوت أردته طبيعيا:

حرية الصحافة ليست إيمانا فقط بل ضرورة، من الصّعب الوقوف في وجهها حين يصبح الكلام مهمة الجميع، وحين تتحوّل جدران البلاد إلى جرائد يومية!

نظر إلي شعرت أنه بدأ يغضب في داخله.. قال من جديد:

إهانة الوطن ليست حرية، بل وقاحة!

الوقاحة أن يهين الوطن شعبا كاملا!

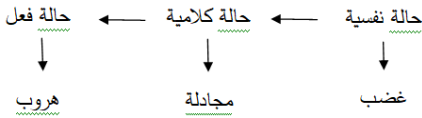
قال كأنه ينهي حوارا شاقا:

ربما علينا أن نعتز في قمة هذه الفوضى أن ثمة ضحايا لا يمكن الحزن عليهم بعد الاغتيال، لأنهم يعطوننا دوما إحساسا أنّ الموت جزاء عادل في حقهم!

قلت بصوت أردته باردا:

الخطيب: غضب. اضطراب. توتر.

كما يقتضي الحديث عن الشروط المقامية لهذه المجادلة الإشارة إلى الإطار الزمني والمكاني الذي جرت فيه، حيث تؤثت بفترة مأساوية تغطها الكآبة والآلام وحاً وحدة/ألفه لأنها حدثت بعد استشهاد "النذير" حزن/فرح أثناء زيارة البطل لبيت صديقه، وم حب/كراهية العسكري الذي يكن له كراهية مبررة، وتحدد مكانيا ببيت المعلم، الذي احتضن عدة ثنائيات، شكّلت انزياحا فنيا نجمله في:



وتأسيسا على هذه الحالة الكلامية، يتولّد صراع بين المتحدّثين يفضي إلى هروب الذات البطلة من المكان، مع تبين حسرتها وتأنيبها لابنة المعلم، لنستنتج بذلك السلسلة الآتية:

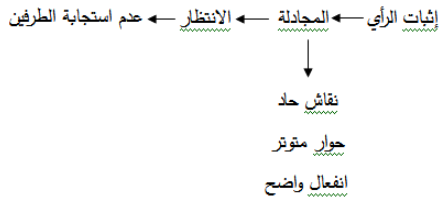
وما جعل الكلام مسارا لمقتضيات هذا المقام، تلك الأفعال الكلامية التي تعمل على إيضاح هذه الحالة وتشخيصها مثل: تؤمن، تتحوّل، يهين، نعترف، يعطوننا... ضمن سياق ظرفي أو فعلي "يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا" (بوجادي، 2009، ص. 115).

ولم تحدث استجابة من أي طرف، فالعسكري منطلقاته حيادية تأبى الحوار الهادف، والصحفي اتجاهاته ثقافية تحفّز على حرية الرأي، على الرغم من امتلاكهما الكفاءة المعرفية التي تؤهلها لتحقيق برامجهما الحكائية، ويُعزى غياب الاقتناع إلى طبيعة الهوى، وطبيعة موضوع الفعل،

رأى الآخر وإعلاء صوت كلمته، وفرضها بشقّ الطرق الكلامية لأنّ "الطريقة التي يدور بها الكلام تعود في جزء منها إلى نوع الأعمال اللغوية المعروضة خصوصا العمل الذي يبدأ به الكلام" (بلاشيه، 2007، ص. 91)

فالعسكري يأتي كلامه مؤطرا ببراهين عقلية تفصح عن معاشسته الواقع واقتناعه بالكفاح المسلح ضدّ طائفة المخربين، أمّا الصحفي فتدلّ حججه عن خطط تصريحية تفضح المتورّطين في إضعاف الوطن فالأول يتخذ السلاح وسيلة، والثاني يرى في القلم الملاذ الأنفع لمواجهة العدو.

ويمكن اختزال متوالية هذه المجادلة في:



وتتدخّل عناصر كثيرة في الحالة الكلامية التي تخضع لها هذه الوحدة نذكر منها:

أ. المقصدية: العسكري يريد إقناع "البطل" بعدم نفعية الصحافة في مثل تلك الأوضاع، ويجد تبريرات لاغتيال الصحفيين، والبطل يصرّ على اتّهام الوطن بتورّطه في الأزمة، لأنّه تخلّى عن الشعب في آخر اللحظات.

ب. الصفة: نجد تباعدا في صفاتهما أثناء أدائهما للعملية التلفظية:

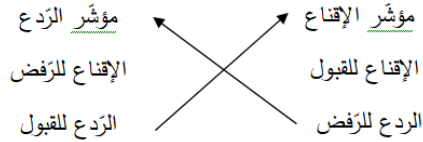
البطل: صوت طبيعي و بارد.

الخطيب: الشدة وارتفاع الصوت.

ج. الحالة النفسية:

البطل: كآبة. غضب. حزن.

المسؤولين عن تحريك وتوجيه المسار التلغفي، وقد شَخَّص "غريماس" (Greimas) (Algirdas Julien) تمفصلات الإقناع في المربع الآتي: (الذاهي، 2006، ص. 100).



لفهم تأسيسا على ما ذكر في التعاريف أنَّ الدلالة المعجمية لوحدة النص، تختزل في المعاني الآتية:

_ الدعوة إلى انتهاج الطريق الصحيح المؤدي إلى تحقيق المنفعة وإدراكها.

_ النَّهي عن كل ما يوقع الذات في الخطأ، أو يعرضها للمشاكل.

_ توجيه المنصوح إلى سبيل الظفر والنجاح.

وتنتج هذه الوحدة عن اهتمام بالمنصوح، وإرادة الخير له، وتتخذ بنيتها العالمية الشكل الآتي:

الناصح ← الموضوع ← المنصوح

وتتعلق الوحدة بانفعال يرتبط بالنَّاصِح - ناجم عن هوى الحب من جهة، وهوى الخوف من جهة أخرى - يتولد عنه فعل أو عمل يسعى من خلفه إلى التأثير في المنصوح، وإقناعه بقبول النصيحة، والموافقة على موضوعها. ويشترط "سيرل" (John Rogers Searle) في التعاقد بين الطرفين "الصدق" (بوجادي، 2009، ص. 100).

فكلما كان النَّاصِح صادقاً، كلما كانت نسبة الاستجابة للنَّصِيحَة ممكنة، وتقتضي "النصيحة كفاءة تلفظية ترتكز على كفاءة استهوائية، لأنَّ المهمم بالآخر المنصوح يسعى إلى إرشاده، بناء على انفعال داخلي ترتبه الجهات الآتية:

- رغبة الفعل: توجيه المخاطب والحرص على نجاح برنامجه.

- معرفة القول: تبَيُّ الألفاظ الدالة على اهتمامه، واختيارها وفقاً لما تمليه انفعالاته الداخلية.

وتضعنا المجادلة بين المتلفظين أمام امتناع واضح من قبل المتحدثين عن الاقتناع بالأفكار المتناقش حولها، ممَّا يوحي باختلاف عميق في الاعتقاد، ويفضي بعدم قدرة أيِّ مجادل على تطويع الآخر، والتأثير فيه.

3.3 وحدة النص:

تظهر من خلال سياقات الحكي وحدة كلامية أخرى، تحتلَّ خانة "التوجيه" كونها تعمل على تقديم النصح والإرشاد للمخاطب قصد تنبيهه إلى الصواب، ويقتضي المقام الإشارة في البداية إلى معجميتها. إذ تعرف بـ: "الدعاء إلى ما فيه الصَّلاح، والنَّهي عمَّا فيه الفساد" (بن هادية وآخرون، 1991، ص. 1226)، ويشير لسان العرب إلى أنَّ: "النَّصَح نقيض الغش ونصحت له نصيحتي نصوحاً أي أخلصت وصدقت" (ابن منظور، 1993، ص. 269).

وترد في القرآن الكريم ضمن مواضع مختلفة، منها قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم" (القرآن الكريم، الأعراف: الآية 62). وقوله في قصة سيدنا صالح عليه السلام: "فتولَّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم" (القرآن الكريم، الأعراف: 79).

الانجائية	الزمن	الجهة	الهي
من الذات البطلة	المستقبل	الرغبة المعرفة القدرة	الحب الخوف

فالجّد ينصح الذات البطلة بضرورة التحلي
بصفات الرجال التي بلورها الحقل الآتي:

- الرجال لا يبيكون.
- الرجال يعتمدون على أنفسهم.
- الرجال لا وقت لهم للحب والحنان.
- الرجال لا يقولون نعم إلا تمويها.

وتتباين استجابة المنصوح بين القبول والرفض، فهو يدرك من ناحية مدى حب جده له، ويعي من ناحية أخرى تماديه على حقوق الفلاحين وقهره لهم.

أ. القبول: يوضّح الملفوظ الآتي استجابة اضطرارية لتلك النصيحة، "ليتني كنت قادرا على الفهم لماذا لا يحقّ للرجال البكاء (...)" وجدت رئيس البلدية يقف قبالي.. صافحي، وقال: لقد أصبحت رجلا الآن ويمكنك الاعتماد على نفسك!" (صالح، 2006، ص. 47).

فعبارة (الاعتماد على نفسك) تفصح عن ردّة الفعل الإيجابية للذات تجاه النصيحة السابقة، وتعكس الاقتناع الضمني بما ورد فيها من توجيهات وإرشادات، ويعزّزها قوله أيضا: "كان يهمني أن أتفوق، لأجل جدي الذي كان ينظر إلي بصمت مكسور ليذكرني ألا حق لي في الفشل الآن" (صالح، 2006، ص. 46). فتبادل الاهتمام يعني الاشتراك في إحساس الحب والانكسار.

من تمّ ندرج المتواليّة التّالية لتوضيح سلسلة
مكوّنات الخطّاطة التّحدّية للنّصح:

المقصّدية ← النّصح ← الانتظار ← الاستجابة أو عدم الاستجابة
↓
إرادة الخير
↓
الخوف من الزلّ

ومن بين الشّواهد التي وردت فيها هذه الوحدة نورد:
"كان جدي يقول لي بصوته القويّ الواثق والصّارم: اسمع يا صغيري.. اسمعها جيّدا من جدّك، الرجال يكبرون بسرعة لأنهم لا يملكون الوقت، لهذا يكبرون بسرعة" (صالح، 2006، ص. 28).

في هذا المقطع تتحدّ نبرة الصّوت مع صيغ الأمر والنّداء والتّكرار لدعم العنصر التّأثيري، وتقديم النصيحة للحفيد، من أجل أن يكبر بسرعة، حتى تصبح كلمته مسموعة، وسلطته محترمة، ويكون قراره مستجابا، ويبدو الناصح صادقا انطلاقا من جلاء انفعالاته الدّاخلية المرتبطة بحبه لابن ولده من جهة، وانعكاس رغبته العميقة في استمرار سلطة العائلة من جهة أخرى.

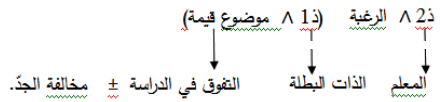
وهكذا تتحدّد مؤهّلات الشخصية النّاصحة في:

- قوّة الشخصية تبرز من خلال الصّوت الواثق والصّارم.
- عقد الأمل على المنصوح في مسألة مواصلة السّير على خطاه في مجال خدمة الأرض، والسّيطرة على الفلاحين والعمّال.
- أسلوبه الكلام وفقا لمتطلّبات الإقناع (النّداء، الأمر، التأكيد...).

أمّا اتجاهاية النصيحة فتتجسّد في:

بكيانك المليء بالخير وبإحساسك نحو الآخرين،
كن أنت فقط" (صالح، 2006، ص. 41).

حيث مزج بين أمر صريح، ونداء قريب يركنان
إلى تمنّي موصول برغبة داخلية نصوغها على النحو
الآتي:



وتفصح وضعية الانسجام المؤشّر إليها داخل
المتن عن تحقّق هذه الرغبة التي يطمح إليها على
مستويين؛ قريب: جسّد عدم الرّضوخ أو الخضوع
لتعليمات الجد ومحاولة الفرار من قيوده، وبعيد:
مثله التفوق في المجال الدراسي، والحصول على
شهادة البكالوريا، ومن ثمّ الالتحاق بالجامعة
والخروج من القرية.

وتبشّر هذه النتيجة الإيجابية بنجاح عملية
التّطويع التلفظي الممارسة من جهة المعلم، الذي
يملك كفاءة معرفية دعتّها قدرته على القول،
ومعرفته للقول، ما ساهم في تأثيرية الإنجاز
التلفظي.

وتتأّى الدلالة الإيحائية لفعل النصّح أيضا
انطلاقا من المقصدية المتوخاة من الكلام الذي
تلقّظت به "ابنة المعلم" ضمن مقامات مختلفة،
تحركه أهواء عديدة (هوى الخوف، هوى الحب،
هوى التّضامن، هوى الامتنان، هوى الإعجاب...)،
فإذا عمّقنا قراءة الشواهد الآتية:

"لا تعرض نفسك للخطر أرجوك..ألا يكفي ما
نحن فيه؟" (صالح، 2006، ص. 114).

"اهتلا في روحك" (صالح، 2006، ص. 104).

ب. الرّفص: ينعكس في عبارات تحمل مدلولات
مخبوءة، نذكر منها قوله: "فكرت أنّ المدينة تكفي
لأفوق في الدّراسة لأجل ألا أكون واحدا من هؤلاء
القطيع، لألا أكون مثل جدّي" (صالح، 2006، ص.
45). فالبحث عن الاختلاف، والسعي للمغايرة يعلن
عدم سيره على نهج جدّه والتزامه بتوصياته.

وفي تعبيره عن المعاملة القاسية لجدّه إشارة
إلى رغبة مضمرة في النّأي عن الامتثال لأوامره،
والاستناد لمعايير حكمه، حيث يقول: "كان جدّي
مدركا أنّ الاعتناء بالأرض لن يحتاج لأكثر من أولئك
الذين يعانون من الجوع، بحيث لا يجب أن تمنح
للجانح فرصة للكلام، عليك أن تشغله بالعمل
لينسى جوعه وعقله وليظّل راضيا عنك" (صالح،
2006، ص. 30).

وتصدر التّصيحة داخل المتن باختلاف
توجيهاتها على لسان شخصيات عديدة، فعلى سبيل
المثال، تتلقّى الذات البتلة دعوة مباشرة إلى
سلوك طريق طلب العلم، بهدف التغيير والارتقاء
نحو الأحسن، من خلال الاستجابة للتّصيحة التي
أسداها لها المعلم، وموافقتها على خوض غمار تلك
التجربة المنفتحة على التحديات، والمنبثقة عن
قناعات يؤكدها الاجتهاد والصّبر، ويدبّرها اتّباع
الهوى المتولّد عن انفعالات مكنونة، شكّلها أزما
متفاوتة الأبعاد والنتائج (حرمان، عنف، فقدان...).

وإذ تسعى الذات إلى تنفيذ برنامج التغيير
المقترن بالتفوق في الدراسة، والخروج من القرية،
والانفصال عن عالم الجدّ وسلطته، تثبت اقتناعها
بنصيحة المعلم، وتبرهن مواقفها من الكلام
المتلفّظ به، وتدللّ علّة ثقتها الكبيرة في الدّور
التّحدّي الذي نهض به المعلم في قوله: "اسمع يا
بني. أريد أن تكون مختلفا عن جدّك. كن أنت،

انتبه لنفسك أرجوك، اهتلا في روحك!" (صالح، 2006، ص. 159).

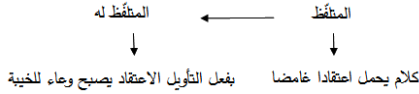
نجد تلاقحاً بين الفصحى والعامية يضيفي بعداً استيثاقياً بين البطل وابنة المعلم، ويؤدّد محفزات الأمل عند الشخصية الأولى، لأنها تنزو إلى الاتصال بها، استجابة لهوى الحب، وتطمح لتسييج قلبها حتى لا يطعم في اختراقه شخص آخر.

فعبارة (اهتلا في روحك!) الواردة بالعامية ترسم مساراً دلالياً فحواه:

الاهتمام بالأخر ← الحرص على سلامته ← الخوف على مصيره.

فهذه النصيحة إذن أدّت وظيفة الإثارة، التي انفتحت على ثنائية (الحنين/ الغضب) ورست استجابة متوتّرة انعكست سلباً على نفسية البطل الذي لجأ إلى الهروب حلاً، وتبنّى الانسحاب موقفاً بديلاً للمواجهة.

ويبقى غرض المتلفّظ (ابنة المعلم) مهماً، لغموض الهوى الذي دفعها إلى التلقّظ، فهل هو هوى الخوف أم هوى الحب أم هوى الامتنان؟



وكأنّ عملية التطويع التلقّظي سلكت منحى سلبياً، لأنها اقترنت بتوظيف "الأساليب ذات الشّحنات الانفعالية" (الدّاهي، 2006، ص. 106). مثل الإغراء والرّجاء والتوسّل في مقام لم تحدث فيه مراعاة لحالة البطل، حيث تعدّ قناعتة أو استجابته ارتباطاً بأمل مفقود.

وبالتالي تضعنا هذه العملية أمام فعلين هامّين: فعل إقناعي ← تؤدّي الذات التوجيهية (ابنة المعلم) فعل تأويلي ← تقوم به الذات المتلقّظ لها (البطل)

وهذا ما يثبت أنّ الفعلين "ما هما إلاّ إجراءان معرفيان ينتهيان في الحالة الأولى بالحمل على الاعتقاد، وفي الحالة الثانية بالاعتقاد" (الدّاهي، 2006، ص. 121).

ونفهم من هذا البسط أنّ وظيفة إقناع المتلقّظ له تتعلّق بمدى تجاوبه مع المعرفة التي يتلقّاها، وقد شهدنا غياب عنصر التّصديق الدّال على انتفاء البعد الاستيثاقى بين الدّاتين، فالذات البطلة فقدت الثّقة بابنة المعلم، لأنها تهدف إلى

واستعمال الرّجاء صيغة للإقناع، ووسيلة للوصول إلى قلب المخاطب، يدل على رتبة القيمة التي تشغلها الذات البطلة عند النّاصح، رغم معيّنات الإخفاء التي اتّكأت عليها ابنة المعلم منذ اللقاء الأول، مروراً بحادث اغتيال أخها "النّذير" وصولاً إلى مقتل خطيبها العسكري.

وبالتالي تضعنا الأحداث أمام محاولة تطويع المتلفّظ له، وإقناعه بضرورة المحافظة على نفسه، وهذه النصيحة تضع البطل في سياق تأويلي يجعله يتّصل بالأمل، ويحمّله على تصديق إمكان الفعل فتلك المشاعر المخبوءة تجاهها يمكن أن تتكاثر في عالم القبول، لكن هذا الاعتقاد الخاطئ النّاتج عن تأويل غير صحيح للكلام المتلفّظ به قد يؤدّي إلى انبثاق انفعال الخيبة، وارتسام أشكال الحسرة والشّاهد الرّوائي يوثّق ذلك: "كانت عبارتها، اهتلا في روحك ترنّ في أذني وكنت لسبب غامض أعي أنّها لم تعد تقول شيئاً! تلك العبارة التي تجعلني أنفلت أمنياً منّي ومن الآخرين!" (صالح، 2006، ص. 159).

تتحكّم في وحدة النصّح أدوار تحدّثيّة تتلاءم ومنزلة الذات المتحدّثة في سياق الحكّي، فمثلا الحوار الذي جرى بين الجد وحفيده يستند إلى:

- موضوع: الإقناع والتوجيه والإرشاد.

- دور تحدّثي 1: المقتنع (الجد).

- دور تحدّثي 2: المقتنع (البطل).

- دور تحدّثي 3: غير المقتنع (المعلم).

إذ عبّر الجد عن قناعاته ومواقفه، محاولا توريثها لحفيده، موظّفا لغة مناسبة للمقام التحدّثي، تتخلّلها النزعة الأيديولوجية، والسّلطة الأدائية، والدّعاة الحجاجية، فكان الكلام مرسوما بأشكال الحدّة والصرامة، وملوّنا بصيغ الأمر والنهي والعتاب.

وتقوم الذات البطلة بالدور الثاني، إذ تبدي في مرحلة أولى اقتناعها بطروحات جدّها، لكنّها سرعان ما تقف في صف المعلم، فترفض تلك النصائح، وتناي عن سلوك الدّرب الذي أرشدها إليه، معتمدة على قدرتها اللغوية في صياغة رفضها للموضوع المقترح للإقناع.

أما المعلم فينهض بدور المعارض لبرنامج الجد، حيث تشغل نصائحه على الرغم من قلة المساحة النصية التي تغطّيها. حيزا واسعا من الاستجابة، نظرا لبنائيتها التلفظية المكثّفة التأثير، وحقلها الأسلوب (المنفتح على أفعال لغوية تتراوح بين التوجيه والإعلان والتوكيد، صبغت كلامه بقوة إنجازية علّلت دافعية الذات البطلة لتنفيذ طلباته وتلبية رغباته، وبرهنت فاعلية آتته الكلامية، وعرفت المتلقي على شخصيته الرافضة للظلم، والدّاعية لطلب العلم، والمدركة لأهمية

حملها على اعتقاد مغلوّط، باستعمالها كلاما في غير موضعه، ليكون فعل النصّح الممارس من لدن (ابنة المعلم) انزاح عن دلالته المتوقّعة، لأنّ أصل الدلالة "مقصدية وغير مقصدية" (بلانشييه، 2007، ص. 150).

حيث اختلفت مقصدية الذات الإقناعية عن مقصدية الذات التأويلية، ويعزى ذلك إلى استخدام الذات الأولى أفعالا لغوية في سياقات غير ملائمة، فالأفعال: اهتلا، انتبه ولا تعرّض تمرّر مشاعر الخوف والاهتمام وحتى الحب، في مقامات تلفظية تحدّد بـ:

1. حدث اغتيال "النذير" ومعاناة الجميع من آلام الفقد، وتوظيف ضمير الجمع (نحن) كفيل بتعميم مشاعر الحزن والأسى.

2. حدث لقاء البطل بخطيب (ابنة المعلم)، حيث جاء مقام التحدّث متضادا مع النصيحة المسداة.

لتؤطر بذلك المناورة التلفظية بمعينات لغوية تشجّع الشخصية البطلة على تحريك برنامج ضديد، ينتقل بها من رغبة في الاتصال إلى رغبة في الانفصال

(ذ م ٨) ← تحول (ذ م ٧)

بناء على ما سبق يتأكّد الدور الفعّال الذي يلعبه الكلام في أداء البرامج الحكائيّة، فكلّما كانت الذات المتلفّظة تتمتع بمؤهلات لغوية تغري بها المساعدين، وتحاجج بها المعارضين كلّما تحقّقت غائية البرامج، وتزوّنت خانها بالإشارة الموجبة. وهكذا يتحوّل الإنجاز اللغوي إلى فعل سيميائي يقتضي كفاءات ضرورية، ويستلزم وحدات كلامية تحمل أبعادا توجيهية وإقناعية.

"وطن من زجاج" على كلام تدثره الإيحائية وتغزوه الرمزية إلى منحه صبغة علامية، تضع القارئ أمام تجربة سردية تطفئ عليها الانفتاحية الدلالية التي ترسم شبكة من الانزياحات الفنية.

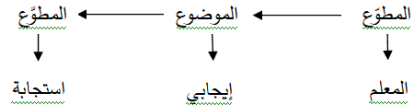
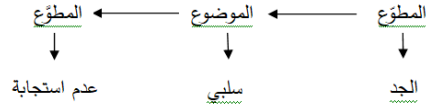
5. قائمة المراجع:

- 1- الداهي محمد. (2006). سيمائية الكلام الزوائي، المدارس، الدار البيضاء، ط1.
- 2- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (2003). مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، ط1.
- 3- بلانشيه فيليب. (2007). التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1.

- 4- بن هادية علي، البليش بلحسن، الجيلاني بن الحاج يحيى، 1991م، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7.
- 5- بوجادي خليفة. 2009م، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1.
- 6- دى سوسير فردينان، 1986م، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصير، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د.ط.
- 7- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. (1993). دار صادر، بيروت، ط3.
- 8- شلي طارق. 2008م، في التحليل اللغوي للنص الزوائي، فصول في تحليل لغة السرد في خان الخلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط.

العلم في التطور والتقدم. كما أسهمت في توليد رغبة التغيير وثقافة المخالفة.

وقد نجح المعلم في فعله الإقناعي بسبب تركيزه على جهة الإمكان، حيث اقترح موضوعا إيحائيا أغرى به المرسل إليه، على نحو ما نوضحه في الخطاطين:



4. خاتمة:

ارتبط الكلام الزوائي في بنائه العلامي بالسمات التلقيفية المقترنة بأقوال الشخصيات الفاعلة، حيث تمحورت في أدوار تحدثية مؤطرة ضمن وحدات كلامية - الكشف، المجادلة، النص - تباينت طرق تجلها باختلاف سياقات الحكي ومقاماته الظاهرة والمضمرة، إذ تفاوتت نسب تحقق إقناعية الموضوعات المكشوف عنها بحسب طبيعتها من جهة ومقصديتها المتلفظ من جهة أخرى، فتنوعت مؤشرات الكلام بين العتاب والشوق والحب والخيبة. و ارتبطت الممارسات التلقيفية للمتجادلين بكفاءاتهم المتأتمية من معرفة القول ورغبة الفعل، في حين نجمت وحدة النص من هوى الحب وهوى الخوف وتعلقت استجابة المتلفظ له بنفعية النصيحة واتجاهيتها وأسلوبها وفقا لمتطلبات الإقناع. وعليه هدفت الكاتبة "ياسمينه صالح" من خلال التركيز في خطاب روايتها

9- صالح يasmineة ،2006م،وطن من زجاج،الدار
العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ، منشورات
الاختلاف الجزائر،ط1.